انعكاسات حرب القرم على الولايات العراقية

(بغداد والبصرة والموصل) ١٨٥٣ – ١٨٥٦

م. د. علي محفوظ عزيز

مديرية تربية نينوى

(قدم للنشر في ٢٠١٨/٦/٣ ، قبل للنشر في ٢٠١٨/٧/١)

ملخص البحث:

لقد كان اندلاع حرب القرم خلال الفترة ١٨٥٣–١٨٥٦، حلقة في سلسلة طويلة من الصراع المستديم بين الدولة العثمانية (١٢٩٩–١٩٢٤م) وروسيا القيصرية (١٤١٧–١٩١٧)، وبما أن العراق كان جزءاً من مكونات الدولة العثمانية، فكان ولابد من أن ينعكس أي تطور في مركز السلطنة أو على حدودها مع الدول المجاورة على تطورات الوضع الداخلي العراقي، ومنها تبعات حرب القرم، حيث شجع اندلاع هذه الحرب القوات القاجارية (١٧٩٦–١٩٢٥م) إلى الاستعداد والتوجه إلى الهجوم على العراق مستغلة انشغال العثمانيين بحربهم مع الروس، كما دفعت هذه الحرب إلى تدهور الوضع الاقتصادي الذي تمخض عنه انتشار البطالة وغلاء الأسعار.

فضلاً عن تزايد نشاط البريطاني للحصول على موطأ قدم في الولايات العراقية ، إذ قامت بريطانية بإجراء مسح جيولوجي للولايات العراقية ومحاولة انشاء خط سكة حديد بغداد – الفرات وتأسيس أول خط تلغراف فيها .

الكلمات المفتاحية: القاجارية، نيقولا الأول، محمد رشيد باشا الكوزلكلي، اللورد بالمرستون

Abstract:

I have seen the period between centuries seventeenth and ninth ten several wars between Russia AlQisaria and during the period between Ottoman. Was among the Crimean war which broke out1853-1856Which got Russia . reflected raised in several gains political and economical. Given the parking Iraq with in property Ottoman have an first attempts to the areas political,internal and economical .Terms of increased conflict international it beg establishment of the line of Telegraph and disorder situation economical where disappeared materials food for Qagear is attact on Iraq preoccupation with -the market and provided prices high very .As threatened Persian Al .war with Russia and other effects Ottoman

المقدمة

على الرغم من الجهود الكثيرة التي بذلت في سبيل الكشف عن تاريخ العراق الحديث منذ خضوعه للسيطرة العثمانية في عهدي السلطان سليم الاول (١٥١٢– ١٥٢٠) والسلطان سليمان القانوني (١٥٢٠–١٥٦٦م) والى انسحاب القوات العثمانية عام ١٩١٧ على اثر اندحار الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الاولى, الا ان جوانب كثيرة من هذه المرحلة لم تكتشف لحد الان.

وبما أن العراق كان خاضعاً للسيطرة العثمانية ومن اهم الولايات ولهذا فأنه سيتأثر ويؤثر بأي حدث يقع في مركز السلطنة, ومن هنا فقد جاء بحثي الموسوم (**انعكاسات حرب القرم على الولايات العراقية (بغداد والبصرة والموصل) ١٨٥٣ – ١٨٥٦**) ليكشف صفحة جديدة من صفحات من تاريخ العراق المنسية.

وقمت بتقسيم بحثي هذا إلى مبحثين, ففي المبحث الأول الخاص بحرب القرم حاولت الكشف عن اسباب الفتح العثماني لهذه الجزيرة ومن ثم السيطرة الروسية عليها, ثم أسباب وقوع هذه الحرب، وفي المبحث الثاني أظهرتُ أبرز انعكاسات حرب القرم على الولايات العراقية، ونتائج حرب القرم على العراق وكيف واجهها العراقيون حيث استعرضت هذه الاثار بمختلف جوانبها من اقتصادية وداخلية واجتماعية وردود أفعال العراقيين على هذه الحرب.

المبحث الأول: حرب القرم ١٨٥٣–١٨٥٦

١– الفتح العثماني لشبه جزيرة القرم

تقع شبه جزيرة القرم في شمال البحر الأسود, وهي تابعة للسيادة الروسية في الوقت الحاضر, ومن ابرز مدنها ميناء سيباستبول والعاصمة سمفروبل, ومضيق كيرتش وفيدوسيا ويوباتوريا ومدينة يالطا[١].

وتبلغ مساحة شبه جزيرة القرم ٢٦١٥كم٢[٢], وخضعت للسيادة العثمانية في سنة ١٤٧٥م في عهد السلطان محمد الثاني الفاتح ١٤٥١– ١٤٨١[٣], حيث انتهز هذا السلطان الخلاف بين خانات القرم, فقام بإرسال أسطول إليها حاصرها لمدة ٦ أيام ثم فتحها بعد ذلك فخضعت لسلطته[٤], حتى عام ١٧٨٣م عندما ضمت الى السيطرة الروسية في عهد القيصرة كاترين الثانية (١٧٦٢– ١٧٩٢)[٥].

٢– سيطرة روسيا القيصرية على شبه جزيرة القرم

منذ أن اعتلى القيصر بطرس الكبير ١٦٨٩– ١٧٢٥م سدة الحكم في روسيا عام ١٦٨٩م, وجه السياسة الروسية الخارجية للسيطرة

على البحر الأسود, ومن أجل هذا خاض القيصر بطرس عدة حروب مع الدولة العثمانية غير انه لم يستطع أن يحصل على نتيجة, ففي عام ١٦٩٦م استطاع ان يسيطر على قلعة أزوف الا انه فشل في السيطرة على مضيق كيرتش الذي بقي بأيدي العثمانيين، وفي عامي (١٦٩٨– ١٦٩٩) عقد مؤتمر كارلوفيتز لمناقشة الوضع في البحر الأسود وبموجب هذا المؤتمر سيطرت روسيا القيصرية على بحر أزوف وبعض المناطق الاخرى غير انها فشلت في السيطرة على البحر الاسود[٦] .

وقد استمرت العلاقات العثمانية– الروسية فيما بعد بين مدٍ وجزر[٧], حتى تولت القيصرية كاترين الثانية[٨] (١٧٦٢– ١٧٩٢) الحكم إذ اتبعت سياسة الشدة والقوة تجاه الدولة العثمانية وخاضت عدة حروب انتهت بالسيطرة على شبه جزيرة القرم وتحويل البحر الأسود الى بحيرة روسية بكاملها, حتى ان كاترين الثانية سَمَت أحد احفادها بأسم قسطنطين وكتبت على أحد الأبواب موسكو (الطريق الى القسطنطينية) [٩], إذ وقعت عام ١٧٧٤م مع الدولة العثمانية معاهدة (كجك كينارجة) [١٠] حيث نصت على استقلال خانية القرم عن الدولة العثمانية[١١], والواقع ان انضمام القرم الى روسيا كان قد تقرر منذ أن نصت معاهدة (كجك كينارجي) على استقلالها, وفي عام ١٧٨٣ ضمت شبه الجزيرة القرم بصورة نهائية الى روسيا, وقد قامت السلطات البحرية الروسية بعد استيلاء روسيا على القرم بإنشاء ميناء سيبا سيتبول[١٢] . وفي عام ١٧٩٢ وقعت معاهدة ياش[١٣]، التي اقرت لروسيا بضم شبه جزيرة القرم[١٤] .

٣– أسباب حرب القرم

لقد كان وراء حرب القرم عدة أسباب رئيسية هي :

١– لقد كان من أهم اسباب أندلاع هذه الحرب هو محاولة روسيا القيصرية الوصول إلى المضايق التابعة للدولة العثمانية، والسبب الظاهري الذي تعللت به الدول المتصارعة لبدأ الحرب هو الخلاف بين فرنسا والدولة العثمانية من جهة وروسيا القيصرية من جهة اخرى حول الامتيازات الدينية كحجاج الاماكن المقدسة في فلسطين, حيث كانت روسيا القيصرية تطالب بمنحها امتيازات دينية لمعاملة رعاياها الارثوذوكس على غرار الفرنسيين الكاثوليك[١٥] .

٢– بينما كانت بريطانيا وفرنسا تعمل على اقناع روسيا بالتنازل عن بعض مطالبها باحتلال ولايتي الافلاق والبغدان[١٦] وضمها الى روسيا مما أدى الى تحالف

فرنسا وبريطانيا والدولة العثمانية ضد روسيا القيصرية[١٧].

٣- لقد كان لبريطانيا دور في اشعال حرب القرم من خلال الكره الذي كان يكنهُ البريطانيين لروسيا بإعتبارها أساس الرجعية في اوربا[١٨], اضافة الى نفوذها القوي في الدولة العثمانية, كما كانت هناك عداوة شخصية بين سفير بريطانيا في اسطنبول اللورد ستراتفورد كاننغ والقيصر نيقولا الأول[١٩] حيث كان القيصر قد اهانه في عام ١٨٣٢ عندما رفض قبوله سفيراً لبلاده في روسيا[٢٠], كما أرادت بريطانيا أن تستغل هذه الأزمة في سبيل الحصول على المزيد من الامتيازات الاقتصادية في الدولة العثمانية.

٤- لقد كان لضعف الدولة العثمانية[٢١] دوراً رئيسياً في قيام هذه الحرب من خلال تصارع الدول الاستعمارية عليها مثل روسيا وفرنسا وبريطانيا في سبيل الحصول على موطئ قدم فيها علاوة على الامتيازات الاقتصادية والسياسية والدينية.

٥- كان من الاسباب المهمة لهذه الحرب مساندة الشعوب البلقانية لروسيا القيصرية في نزاعها مع الدولة العثمانية, حيث كانوا يشتركون مع روسيا القيصرية في نفس المذهب وهو الارثوذكسية وهم بهذا يعدون الروس إخواناً لهم, وكانو يأملون من روسيا القيصرية ان تنقذهم من السيطرة العثمانية[٢٢].

٤- نتائج حرب القرم

من اهم النتائج التي تمخضت عن حرب القرم هي ما يأتي:

١- لقد كان من النتائج الرئيسية لحرب القرم هي توقيع معاهدة باريس[٢٣] التي نصت على اعادة ولايتي الافلاق والبغدان الى السيطرة العثمانية, وجعلت هذه المعاهدة الملاحة في الدانوب حرة دون قيود ومُنعت روسيا القيصرية من الإبقاء على سفنها الحربية في البحر الاسود, اضافة الى بنود اخرى, وحقيقةً فإن هذه المعاهدة ركزت على الابقاء على الدولة العثمانية حية الى ابعد فترة زمنية ممكنة[٢٤].

٢- نبهت هذه الحرب شعوب البلقان الى وضعهم ودفعتهم الى المطالبة باستقلال اكبر عن الحكم العثماني, فضلاً عن أن معاهدة باريس ضمنت لهم نوعا من الاستقلال الذاتي تحت السيطرة العثمانية[٢٥].

٣- اوضحت هذه الحرب للدولة العثمانية ان جيشها وانظمتها الادارية قد عفى عليها الزمن, واصبح من الواجب عليها القيام باصلاحات واسعة لتجديد روح هذه الدولة الواسعة العتيدة, وهذا ما دفع السلطان العثماني عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١م) الى اصدار مرسوم اصلاحي هو الخط الهمايوني[٢٦]، لإصلاح امور الدولة[٢٧] .

٤- زادت هذه الحرب من النفوذ البريطاني والفرنسي في الدولة العثمانية, فباعتبار ان هاتين الدولتين قد ساعدتا الدولة العثمانية ضد روسيا القيصرية فمن البديهي ان تحصلا على امتيازات اقتصادية واجتماعية وسياسية, ومحاولة تسخير مواردها لمصالحهما واستثماراتهما[٢٨] .

٥- أثبتت هذه الحرب ان الولايات العربية ليس بمنأى عن حروب الدولة العثمانية وأثارها, حيث كان لها تأثير على الولايات العراقية, إضافة الى انها اثرت على الجيش المصري, فعندما هاجم الروس على العثمانيين في عام ١٨٥٥ كان من بين المدافعين جنود مصريون, وقد قتل في هذه المعركة قائد الجيش المصري المدعو سليم باشا الملقب أبو طربوش[٢٩] .

المبحث الثاني: اثار حرب القرم على الولايات العراقية

١- أثار حرب القرم على الولايات العراقية من الناحيتين الاقتصادية والداخلية:

لقد كان لحرب القرم أثار على مختلف أرجاء الدولة العثمانية ومن بينها الولايات العراقية الذي تأثر بها بشكل مباشر وغر مباشر أدت الى اضطراب أوضاعه الداخلية والاقتصادية والاجتماعية, وسوف نتبع هذه الآثار وحسبما يأتي :

أ-من الناحية الاقتصادية :

في آب من عام ١٨٥٢ صدر الفرمان[٣٠] بإسناد ولاية بغداد الى محمد رشيد باشا الكوزلكَلي -أي صاحب النظارات-[٣١] , ويعد هذا الوالي من اهم الولاة حيث بلغ صيته أوربا, فقد ذكر مراسل جريدة التايمس: ما ان وصل الباشا الى بغداد حتى وجد المدينة خربة وركاماً, وقد انخفضت الواردات حتى بلغت مليوناً وستمائة ألف قرشا, واجتاحت البلاد من جميع اطرافها الغزاة من غرب فارس وضعفت طراز نسيج الحرير وأخذت الأرض المزروعة في البلاد تنقص من أطرافها ويمتد اديم الصحراء فيها[٣٢] .

ومنذ مجيئه حاول اصلاح اوضاع العراق وخصوصا الاقتصادية حيث قام بفتح نهر الهارونية في لواء ديالى, كما امر بكري نهر الدجيل في بَلَد التابعة لقضاء سامراء، وكما قام بأعمال زراعية

اخرى حيث أمر بكري نهر النيل ونهر الشاه والعوادل والظلميه وأبو جماغ والشوملي الكبير والشوملي الصغير وفتح نهر المربوعية, وكل هذه الانهار كانت في لواء الحلة[٣٣] .

ومن الأمور الاقتصادية المهمة التي ظهرت في عهد الوالي محمد رشيد باشا الكوزلكلي هو انشاءه لشركة للملاحة ففي عام ١٨٥٢م، ومعملاً لسد حاجة السفن وكلف احدى الشركات البلجيكية ببناء باخرتين, أطلق على إحداها أسم بغداد والأخرى باسم البصرة لنقل السلع التجارية من بغداد والبصرة من أجل تأسيس شركة تجارية عثمانية لملاحة تعمل بين موانئ البحر الاحمر البصرة[٣٤], وفي سنة ١٨٥٥ دعا محمد رشيد باشا الكوزلكَلي جماعة من التجار لأجتماع عرض عليهم تأسيس شركة للملاحة يكون نصف رأسمالها من الحكومة والنصف الأخر يشترك فيه التجار, وقد وصلت السفينة الاولى إلى بغداد قبيل وفاة محمد رشيد باشا ثم وصلت الثانية بعد وفاته[٣٥] .

غير ان كل هذه الاصلاحات التي قام بها هذا الوالي انقلبت رأس على عقب فقد أصبحت موارد الولايات العراقية باكملها خاضعة ومسخرة لحرب القرم، حيث قام الوالي محمد رشيد باشا الكوزلكَلي[٣٦] برفع إيرادات بعض المقاطع الأميرية وهي الشكرخانة والمومخانة[٣٧] والمصبغة[٣٨], حيث قام هذا الوالي بإخضاع هذه الإيرادات للكمارك بعد أن كانت معفوة منها مما أثر في أوضاع الناس الاقتصادية، كما تم السيطرة على الاعانات المالية التي كان يقدمها الأغنياء للفقراء حيث اخذت هذه الاعانات لحرب الروس.

وقام محمد رشيد باشا باكراه الناس بالعنف والقسوة على دفع الاعانات بصورة دائمية, وقام بجمع كافة البنائين في بغداد لاستخدامهم في بناء المنارة الواقعة على شاطئ دجلة المحاذية لقرية الاعظمية, وبسبب بناء هذه المنارة تدهورت اوضاع السكان المالية حيث قام بجمع اموال الناس للبناء واخذ ثلاثة اضعاف ما يجب أن يصرف لها, وبهذا وقع عبئ بناء هذه المسناة على الناس التي كانت تتبناها الدولة من حال السلطان من صندوق الزكاة[٣٩] .

ومن الآثار الاقتصادية الاخرى لحرب القرم التي انعكست بشكل سلبي على الناس هو ارتفاع اسعار الرز في الولايات العراقية حتى يقال انه لم يستطع أحد أن يأكله لغلاء سعره، وقد قام محمد رشيد باشا بحفر نهر المشيرية الوزيرية من ماله الخاص وجعله نهراً وأمر أن لا يزرع أحد الشلب لانحياز الماء الى نهره الجديد وبسبب ذلك كانت ترتفع اسعار الرز حيث لا يكون منه مزروعاً الا في مكان واحد وهو باطراف الشرقية في انحاء الفرات بأماكن معلومة في الهندية[٤٠] .

ومن ابرز الآثار الاقتصادية لحرب القرم على الولايات العراقية هو بروز دور اليهود الاقتصادي خلالها, إذ استغلوها بشكل كبير حتى كونوا لهم ثروات طائلة واصبحت لهم مراكز مرموقة في الولايات العراقية بقوا محتفظين بها الى أواسط القرن العشرين, ومن أبرز هؤلاء اليهود آل دانيال وهم صالح دانيال واخوته[٤١], وفي ايام الوالي محمد رشيد باشا ازداد نفوذهم, وانتفعوا انتفاعاً بيناً, كل ذلك بالتفات الوالي لهم وتعيينه لهم وجه المنافع الجارية على غير المعتاد بظلمهم على العباد الى ان توغلوا في الامور وتقدموا عنده حتى إنهم اخفوا عليه الحال، وقد سيطر آل دنيال على زراعة الحنطة والشعير في ملحقات بغداد واحتكروا الرز لكي ترتفع اسعاره فبدأوا يبيعونه حسب رغبتهم، وادى ارتفاع اسعار الرز الى انقطاع البائعين والشارين من الاهالي والسكنة فشحت المواد الغذائية وارتفعت أسعارها في بغداد وضواحيها[٤٢] .

ولم يستيقظ هذا الوالي عن غفوته هذه الا قبل موته بأيام قلائل, ونحن نعتقد أن هذا الاهمال الذي ادى الى استفحال دور اليهود الاقتصادي في الولايات العراقية لم يكن عن اهمال وانما جاء بشكل متعمد لتدمير الاقتصاد فكيف لا يعلم والي ما يجري في ولايته, وانما الذي حدث هو أن محمد رشيد باشا منح اليهود السيطرة الاقتصادية لكي يستفيد وهو يؤمن مستقبله السياسي من خلال الأموال التي سيحصل عليها من اليهود ليرسلها الى استانبول عاصمة السلطنة, اضافة الى اضعاف دور العراقيين الاقتصادي في بناء بلدهم, وأدت حرب القرم الى ارتفاع اسعار الغنم حيث اصبح سعر الرأس الواحد ٢٠ قرشاً[٤٣]، بعد ان كان سعر الرأس الواحد ١٣ قرشاً[٤٤] .

ب- أثار حرب القرم على الأوضاع الداخلية للولايات العراقية

لقد ادى قيام حرب القرم الى تدهور الاوضاع الداخلية للولايات العراقية بشكل كبير حيث أصبحت ساحة للصراعات الداخلية, فعندما تولى الوالي محمد رشيد باشا الكوزلكي ولاية بغداد اهتم اول الأمر باصلاح أوضاع العشائر العراقية تدريجياً وجعلهم خاضعين لأنظمة الدولة وقوانينها .

ففي أيام الوالي محمد نامق باشا (١٨٥١-١٨٥٢م) [٤٥]- الذي سبق محمد رشيد باشا- قامت الثورات والانتفاضات من جراء بطشه, غير انه مجرد وصول محمد رشيد باشا اتخذ طريق الصفح ومراعاة الحكمة في الأمور[٤٦], وقد قرر منذ البداية الاتفاق مع العشائر والتفاهم معها, وقد أثنى سليمان فائق عليه وأفرد له قسما من كتابه وأعتبر القبائل العربية الثائرة في المنتفك "عُصاة" أدبهم هذا الوالي وأخذ رؤساءهم أسرى ونهب اموالهم ومواشيهم[٤٧] .

وعندما قدم الى بغداد محمد رشيد باشا في سنة ١٨٥٢م اقنع الشيخ منصور بن راشد بن ثامر بن سعدون بموافقته على اقتطاع السماوة[٤٨]، بعشائرها من ديرة المنتفق واسند اليه المشيخة, وعندما عُين منصور بن راشد شيخاً على السماوة وقعت حوادث أسفرت على سيطرة الجنود العثمانية على سوق الشيوخ بعد ان كانت العشائر قد سيطرت عليها فأضطرت الشيخ منصور على الموافقة على سلخ مقاطعات اخرى من ديرته[٤٩].

والظاهر ان هذه الحوادث والسيطرة كان نتيجة تعيين حسين باشا من الأمراء العسكريين قائم مقام لسوق الشيوخ في سنة ١٨٥٥, كما عينت الدولة العثمانية للمنتفك شيخاً رشحة الشيخ منصور بنفسه.

وفي تلك السنة ايضا عينت الحكومة السيد داؤد أفندي السعدي مدرسا ومفتيا في المنتفق[٥٠]، مما يدل على انها نوت على تثبيت قدميها لتبقى نافذة الكلمة في تلك المنطقة[٥١], وفي عام ١٨٥٥ تمردت قبيلة البو محمد, القاطنة على ضفاف نهر دجلة أسفل العمارة[٥٢]، لأسباب مالية وشرعت بنهب القرى ومهاجمة القوارب التي تعمل في النهر وأصبح من المستحيل اخضاعهم حيث لا يكاد الجنود العثمانيون يظهرون حتى يكونوا قد تلاشوا في الاهوار, وبعد مرور اشهر على تعطيل الملاحة في نهر دجلة قبلت الحكومة العثمانية بأي مبلغ توافق القبيلة تلقائياً على دفعه[٥٣], ومن خلال ما تقدم نلاحظ كثرة الحركات المسلحة للعشائر العراقية ضد السلطة العثمانية خلال فترة حرب القرم ١٨٥٣–١٨٥٦ وخصوصا في جنوب العراق.

ويمكن ارجاع أسباب هذه الحركات المسلحة والتمردات الى:

١- انشغال الدولة العثمانية بحرب القرم مما فسح المجال للعشائر العراقية الجنوبية للتحرك المسلح ضدها ومحاولة تخفيف سيطرتها عليها, اضافة لمحاولة فتح جبهة جديدة ضد العثمانيين في محاولة لاضعافهم سياسيا وعسكريا واقتصاديا من خلال الامدادات التي سوف تبعثها الدولة العثمانية للقضاء على حركات العشائر العراقية الجنوبية.

٢- سياسة القسوة والشدة التي اتبعها الولاة العثمانيون ضد العشائر العراقية حيث كان كل والي يأتي الى العراق لا يستطيع إيجاد تفاهم مع هذه القبائل فما أن تعلن هذه القبائل تململها أو ضيقها بالإجراءات القاسية للسلطنة العثمانية حتى يقوم هذا الوالي باستخدام العنف والقسوة معها مما جعل عشائر الجنوب في صراع دائم, مع مركز الولاية في بغداد[٥٤]، وسياسة القسوة لا تأتي بشيء مفيد للسلطة وانما تنهكها اقتصاديا وعسكريا وتشغلها عن

مشاكلها المركزية, وخير دليل السياسة التي اتبعها محمد نامق باشا تجاه العشائر مما جعلها في حالة حرب معه حتى تم عزله في عام ١٨٥٢.

ومن الأثار الاخرى لحرب القرم على الاوضاع الداخلية هو اضطراب الأمن وعدم القدرة على حفظ أمن المواطنين وخير دليل على ذلك أنه بعد أن اتسع نفوذ آل دنيال في اقتصاد الولايات العراقية أصبحوا هم ايضا المتحكمين بأمن المواطنين ففي منطقة الهندية كان هناك مكان يدعى أبو بغال فيه ماء جعلوا عليه أعوانا يأخذون من المارة إذا كان راكباً, وإذا كان حمل على دابة قوارب, ثلاث دراهم ونصف, فضاعفوه وبدأوا يأخذون ١٥ قرشاً وأحياناً ٢٠ قرشاً, ومع هذا يضمنونه من الملتزم بثلاثين ألف قْران, ويلزم بأيديهم مائتين وثلاثين ألف قران, ومن خلال ما تقدم نلاحظ اضطراب أوضاع الولايات العراقية الداخلية بفعل انشغال الدولة العثمانية بحرب القرم وعدم قدرتها على ضبط الأوضاع الداخلية اضافة الى تسخير كل قدرات الولايات العراقية الاقتصادية والعسكرية والمالية للمجهود الحربي.

ومن الأثار الأخرى لاضطراب الاوضاع الداخلية للولايات العراقية هو انتشار الامراض والأوبئة بشكل كبير بسبب انهيار الخدمات الصحية أو تسخيرها لحرب القرم, وقد أدت الأمراض الى إبادة الكثير من سكان البصرة وسببت هجرة البعض منهم حتى غدا عدد سكانها في عام ١٨٥٤ لا يزيد ٥٠٠٠ نسمة بعد ان كان يزيد على ٦٠٠٠٠ ألف نسمة قبل تلك المحن [٥٥].

٢- أثار حرب القرم على الصراع الدولي تجاه العراق:

لعل أول ما يوقف الشخص المتتبع والدارس لاوضاع الولايات العراقية خلال حرب القرم والمتمعن النظر فيها تنامي النشاط البريطاني بشكل كبير وواسع وفي مختلف الاتجاهات وسوف نتناول كُل جانب بالتوضيح على التوالي:

أ- محاولة إنشاء خط سكة حديد الفرات:

لعل ابز نشاط استعماري بريطاني خلال حرب القرم في الولايات العراقية هو فكرة بناء خط سكة حديد الفرات, وعند العودة إلى جذور هذا الموضوع حيث يذكر لونكريك أنه في سنة ١٨٥٤- واثناء ما كانت معارك حرب القرم تدور- جمع ج. و. أندرو الداعي لإنشاء طريق الى الهند خلال سنين عديدة مع جماعة معروفة من العلماء والمناصرين للمشروع وكونوا شركة لإنشاء سكة حديد من البحر المتوسط الى الخليج العربي, وكانوا يرون ان تمر هذه السكة بسلوقية وأنطاكية وحلب و قلعة جعير وهيت وبغداد ومن هناك إلى القرنة فالبصرة، وقد رضيت هذه الجماعة أن تمد أولاً سلوقية- فالفرات فقط بطول ٨٠ ميلاً ومن هناك يطرق نهر

الفرات بالبواخر, ومن اجل ان ينجح هذا المشروع حاول المسؤولون عن هذا المشروع أن يستخدموا نظرية الخوف من تسرب النفوذ الروسي إلى الشرق والثروة العظيمة الكامنة في العراق واستفادة الدول العثمانية والهند والتوسع المنتظر في التجارة مع الشرق الأقصى وسهولة إنجاز هذا المشروع من الوجهة الهندسية, وتوفر المواد الأولية في بلاد الشام, وحظي هذا المشروع بتأييد رسمي[٥٦], ويرجع اهتمام بريطانيا لمد سكة حديد على طول نهر الفرات عبر البصرة الى الخليج العربي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر, فللأحداث في أفغانستان الناجمة عن التدخل الفارسي القاجاري[٥٧] فيها عام ١٨٣٧ أدى الى احتلال بريطانيا للأحواز, وكذلك قيام حرب القرم وأحداث الثورة الهندية عام ١٨٥٧, كُل هذه الأسباب جعلت المسؤلين البريطانيين ينظرون باهتمام متزايد الى طريق العراق لنقل المساعدات العسكرية إلى الهند وليكون الطريق بديلاً عن مشروع قناة السويس الذي تشرف عليه فرنسا[٥٨].

وبينما كانت بريطانيا تهيء برنامجاً خاصاً لبناء سكة حديد الفرات, كانت من جهة أخرى ومن أجل تعزيز هيمنتها على الخليج العربي, إدعت أن شط العرب ليس نهراً تابعاً فقط للسيطرة العثمانية بل نهراً مفتوحاً وان الملاحة حرة فيه ومن حق السفن الحربية البريطانيا الصعود الى القرنة لأنه سبق للسفن الحربية البريطانية, وخلال حرب القرم ليس فقط الصعود الى القرنة بل القيام بحركات عسكرية في شط العرب بموافقة السلطات العثمانية[٥٩].

وفي عام ١٨٥٦ طرح السير و. ب. أندرو- الموظف في مكتب البريد الهندي – المشروع مرةً اخرى بعد قيامه بدراسة خاصة لقضايا سكك الحديد في الشرق الاوسط, وكانت محكمة المديرين التابعة لشركة الهند الشرقية مؤيدة له في اقتراحاته وتم الحصول بالنيابة عنهم على امتياز لها من الباب العالي, وعُين الجنرال تشزني مندوباً للشركة في استانبول وجرى اختيار مينائي حلب والسويدية, ثم قسمت الطريق الممتدة من السويدية حتى حلب بالاضافة الى الاعمال الاستطلاعية من حلب إلى مسكنة الواقعة على نهر الفرات.

وقد لاقى المشروع استحسان السفير البريطاني في استانبول, كما لاق استحسان وزير الخارجية البريطاني اللورد كلارندون.

وفي ٢٢ حزيران ١٨٥٧ قابل وفد يدعو الى فكرة تقديم الحكومة البريطانية دعماً مايا لمشروع سكة حديد وادي نهر الفرات لمقابلة اللورد بالرستون رئيس الوزراء البريطاني, واكد اللورد بالرستون للوفد بأن الحكومة البريطانية واعية تماماً لآهمية طريق الفرات[٦٠], وقد ذكر السير و. ب. أندرو أن اهمية طريق الفرات العسكرية والسياسية لأمر في غاية الخطورة, وان علاقته الآكيدة بالدفاع ليس

عن الدولة العثمانية فحسب, بل عن بلاد فارس وجميع المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط وبحر قزوين والمحيط الهندي, لهي أشدُ بكثير مما قد يظن لأول وهلة, وقد قصد بالدفاع دفاعاً ضد روسيا صراحة[٦١], وعلى الرغم من كل هذا الاهتمام الذي لقيه مشروع سكة الحديد إلا أنه لم ينفذ لعدة اعتبارات هي :-

١- لقد كان للتكاليف المالية الكبيرة التي يحتاجها هذا المشروع دوراً في ايقاف العمل بهذا المشروع حيث كان يتطلب توفير مبالغ طائلة لإعداد هذا المشروع.

٢- عدم حصول هذا المشروع على تأييد الحكومة البريطانية الكافي حيث أنها كانت قد ركزت جُل إهتمامها وقدراتها السياسية والعسكرية على قناة السويس التي كانت تستعد أنذاك لاستكمال بناءها وفتحها امام الملاحة, وبهذا فقد خسر المشروع الدعم السياسي الذي كان يحتاجه.

٣- إذعان رئيس الوزراء البريطاني اللورد بالمرستون لتأثير نابليون الثالث الذي عارض فكرة مد سكة حديد بريطانية في بلاد الشام, حيث كانت بلاد الشام أشبه بمنطقة نفوذ فرنسية غير شرعية وكان معترفاً لفرنسا بالحماية على سكانها المسيحيين, ومن هنا نلاحظ اصطدام المصالح البريطانية الفرنسية حول سكة حديد الفرات.

٤- سيادة الوئام والصداقة بين بريطانيا وفرنسا مما لم يدع مجالا للتفكير من أجل مشروع نظري, والصداقة بين الدولتين كانت قد تعززت خلال حرب القرم ١٨٥٣- ١٨٥٦ التي انتصرت فيها بريطانيا وفرنسا المتحالفتان مع الدولة العثمانية على روسيا القيصرية[٦٢].

ب- القيام بمسح جيولوجي للعراق

لعل مما يثير الاستغراب هو قيام البريطانيين بمسح جيولوجي لكل انحاء العراق, خلال فترة حرب القرم, وشيء أكيد أنهم كانوا يقومون بهذه الاعمال في سبيل زيادة التعرف على طبيعة العراق الجغرافية والمناخية، وأهم المواقع الأثرية ومكان ثرواته في باطن الأرض ففي عام ١٨٥٣ أنجز القائد جونز مشروع تخطيط شامل لمدينة بغداد وأرفقه بترجمة لتاريخ المنطقة مملوءة بالمعلومات الاحصائية, وفي عام ١٨٥٤ أرسل القائد جونز إلى بريطانيا التقرير مع مذكرة في ثلاث صفحات بيانا عن أعمال مسح في مدينة بابل الاثرية, قام بها وتمتد المنطقة التي قام بمسحها من المسيب على نهر الفرات حتى

الزاوية الشرقية القريبة من بحر النجف لكن الخرائط فقدت في مكتب الهند بلندن, بعد ذلك[٦٣] .

وفي عام ١٨٥٥ تولى أعمال مسح الولايات العراقية جيولوجياً القائد فليبي، بعد انتهاء مهام القائد جونز، حيث قام فيليبي بأعادة أعمال مسح الولايات العراقية من جديد, حيث قام بالمسح الجيلوجي لمناطق بابل وكربلاء والكوفة والنجف وهي مناطق كان قد مسحها سابقاً القائد جونز, وزيدت عليها مساحة من الأرض من الناحية الشرقية, وقد تم انجاز هذا المسح في عام ١٨٦١, ولكن الخرائط النظيفة فقدت للمرة الثانية مع أوراق القائد فلبي, وقد جرى الحصول على نسخة لهذه الخرائط والسجلات من بغداد[٦٤] .

ومن هنا نلاحظ إن البريطانيين على الرغم من انشغالهم بالحرب إلا أنهم لم يضيعوا فرصة انشغال الدولة العثمانية في هذه الحرب في سبيل تثبيت أقدامهم في العراق من خلال التعرف على طبيعته المناخية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية, وقد سهل لهم هذا المسح فيما بعد السيطرة الكاملة على العراق على اثر احتلاله خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤–١٩١٨ .

ج– إنشاء خط التلغراف

إن من أبرز مظاهر الصراع الدولي على الولايات العراقية هو محاولة إنشاء بريطانيا لخط تلغرافي في هذه الولايات عوضاً عن خط سكة حديد الفرات.

فبعد ان انتهت حرب القرم وخرجت الدولة العثمانية منتصرة وأصبحت دولة ذات سيادة, وقد علمتها التجارب الحربية انها تحتاج الى مواصلات احسن ضمن دولتها, وكانت بريطانيا ترحب بكل مشروع يكون من وراءه تسهيل اتصالها في المشرق, وقد سبق ان رُسمت الخطط لمد الحبل السلكي القابلو في قعر البحر من الهند الى البصرة ومن هناك في قعر دجلة الى بغداد, وتقدمت شركة الهند الشرقية في سنة ١٨٥٦ الى الباب العالي لمشروع مد خط أرضي من الشام الى الخليج العربي, وقد رفضت استانبول التأمينات التي لم يكن بدونها بوسع الشركة أن تبدأ بالعمل, هذا بالاضافة الى أن منح امتياز أجنبي كان في حد ذاته شيئً غير مقبول[٦٥] .

ولابد من الاشارة هنا بأمانة أن انشاء هذا الخط قد يكون فيه بعض الايجابية من خلال جعل الولايات العراقية, مواكباً للتغيرات والاختراعات وان لا يكون معزولاً عنها، الا ان الذي يجعلنا نعتقد ان هذا المشروع هو هدفه أستعماري أن بريطانيا لم تنشأ هذا الخط التلغرافي لمصلحة العراقيين لكي يستخدمون في اتصالتهم وإنما لكي

تسهل الاتصال بمستعمراتها في الشرق وبينها وبين استانبول مركز السلطنة العثمانية.

د- العلاقات العثمانية- القاجارية خلال حرب القرم وأثرها على الولايات العراقية:

لعل من أبرز الأثار التي تركتها حرب القرم على العراق وبشكل سلبي هو تدهور العلاقات العثمانية- القاجارية وانعكاسها على العراق، فعندما اشتدت الحرب وطالت أيامها أخذت الاشاعات تروج بين الاهالي هو احتمال هجوم القوات القاجارية على العراق, وانتشر في بغداد خبر مفاده أن الشاه ناصر الدين (١٨٤٨-١٨٩٥م)[٦٦] قد تحالف مع الروس وأرسل اليهم المعدات والأطعمة, فاضطرب أهل بغداد لهذا الخبر كما اضطرب أهل خانقين وشاع الخوف وارتفعت الاسعار[٦٧].

وفي عام ١٨٥٤ حشد حاكم ديزفول القجاري جنودا بالقرب من حدود بلاد فارس مع الولايات العراقية بقصد الهجوم على البصرة في حالة قطع العلاقات بين البلدين, ودعا محمد رشيد باشا والى بغداد من جانبيه القبائل العربية الى حمل السلاح[٦٨], وقد كان مقدراً تمام التقدير للخطر الساحق الذي كان يتعرض له العراق لو دخلت الدولة القاجارية الحرب الى جانب روسيا القيصرية, فانهمك بجمع الأموال اللازمة لتمويل القوات التي كان يعبئها لتتعاون مع القوات التي بعثها الباب العالي من استانبول لتنضم الى العشرة الاف جندي الذين كانوا في الولايات العراقية, حيث طلب من عشائر عنزة وشمر تقديم خيالتها لمواجهة الغزو المنتظر, كما استدعى عبد الله بابان من منفاه في الآستانة ليتولى تجميع القوات الكردية والدفاع عن منطقة السليمانية، وبعث كذلك برسول بك- آخر الأمراء الصورانيين- الى كركوك لتعزيز الدفاع هناك, ورصد عبر المنتفك لمواجهة قوات حاكم شوشتر وسير الى زهاو مايقارب من ٣-٤ ألاف مقاتل, وطلب من شيخ الكويت ان يواجه الهجوم المنتظر من جهته، كما اتصل محمد رشيد باشا بـ جابر باشا شيخ المحمرة وتفاهم معه على خطة مشتركة لمواجهة أي هجوم فارسي من المحمرة صوب البصرة[٦٩].

وقد اقلق احتمال نشوب حرب مع بلاد فارس العراقيين خصوصاً أهل خانقين, إذ طلب القائممقام هناك محمود بك, منهم أن يجمع جيشاً متأهباً للطوارئ وتجهيز عساكر في عقيل, وقد اضطرب اهل بغداد واستولى عليهم خوف عظيم لقلة عساكر البلد وعدم قدرة الناس على مواجهة مثل هذا العمل, وانهدام سور البلد فغلت الاسعار عن مألوفها وفي هذه الأثناء كانت الحكومة البريطانية تعمل على ان تقف الحكومة الفارسية على الحياد خلال حرب القرم, ولذلك ضغطت على الشاه باستمرار لتمنعه من الانسياق وراء

الوعود الروسية، ونظراً لما كان بين الدولة العثمانية وبريطانيا من تعاون وثيق في جبهات القتال فقد تعاونا كذلك في الدفاع عن جبهات الولايات العراقية, إذ عرض محمد رشيد باشا على البريطانيين أن يستقدموا جزءاً من القوات الهندية للمشاركة في هذه المهمة، غير ان محمد رشيد باشا لم يكن يدري ماذا يضمر له البريطانيون فقد كان القنصل البريطاني في بغداد يحث حكومته على ان تحتل القوات البريطانية العراق مذكراً اياها برغبتها خلال ازمة التوسع المصري في الشام[٧٠], وأهتم بتنفيذ هذه الأُمنية ومؤكداً أن الظروف الحالية تستوجب بدرجة اكبر احتلال بغداد ولاشك ان تحالف الدولة العثمانية مع بريطانيا هو الذي حال دون تحقيق هذه الرغبة في تلك الظروف[٧١] .

وبينما كان الناس في هرج ومرج وقد سادهم الرعب وصل الخبر الى القنصل البريطاني في بغداد بأن الشاه قد عدل عن قراره بخصوص الحرب وسرح جيوشه, وقد كان سبب رجوع الشاه عن الحرب حسبما تذكر المصادر ان امام الجمعة وهو رجل كبير مسموع الكلام عند الشاه وعند جميع أهل بلاد فارس قد طلب من الشاه أن يترك هذه الأمور بداعي أننا أسلام والعثمانيون أسلام فالحرب ستكون نصراً للكفار وهذا لا يجوز في الشرع[٧٢], فترك نصر الدين أمر الحرب[٧٣] .

وقد تقدمت البارجة أكبر اثناء رحلتها من المياه العثمانية وعلى متنها حاكم البصرة العثماني سائرة في المياه الى ان وصلت الى القرنه حيث التقت مع البارجة كوميت[٧٤], وبينما كان ناصر الدين شاه يستعد للرجوع عن قرار بغزو العراق, كان محمد رشيد باشا يهمُ بالمسير الى اطراف كرمنشاه[٧٥] .

ومن التطورات الاخرى في العلاقات العثمانية– الفارسية واثارها على العراق هي توقف المفاوضات حول معاهدة ارضروم الثانية التي كانت قد بدأت عام ١٨٤٧ فخلال قيام اللجنة الحدودية المشتركة بعملها أندلعت حرب القرم فتوقفت اللجنة عن العمل, وقد اقترح اللورد بالمرستون سنة ١٨٥١ ان يعهد الى ممثلي العثمانيين وبلاد فارس تخطيط الحدود العامة في استنابول يساعدهم في مهمتهم اعضاء اللجنة, الا ان اعلان حرب القرم ادى الى توقف المفاوضات وتأجيلها بين الفريقين الى اجل غير مسمى[٧٦] .

٣- ردود أفعال العراقيين تجاه حرب القرم

بما ان العراق كان خاضعاً للسيطرة العثمانية خلال حرب القرم فمن المؤكد انه سيتفاعل مع هذه الحرب وخصوصاً انه كان يعتبر ان هذه الحرب هي بين المسلمين والكفار العثمانيين والروس.

فعندما وصلت أنباء اعلان الحرب الى بغداد جمع الوالي محمد رشيد باشا الكوزلكَي اعيان بغداد وعلمائها, واخبارهم ان الروس

قد تحركوا لمحاربة السلطان, ثم طلب منهم ان يجمع التبرعات من الاهالي لمعونة الدولة, واتفق المجتمعون في هذا المجلس على ان يدفع الموسر من الاهالي مبلغ ألف قرش والمتوسط مائة قرش والفقير خمس وعشرين قرشاً وكذلك فرض على كل بيت رسم مقطوع قدرها مائة قرش.

استثنت محلة باب الشيخ من دفع هذه الاعانة اذ اعتذر منها النقيب فذكر ما عليه سكانها من ضعف الحال فلم يطالبها الوالي اي مبلغ[٧٧] .

كما نلاحظ ان العراقيين ساهموا في هذه الحرب من جانب اخر من خلال القصائد الحماسية واستنهاض الهمم لمساندة العثمانيين المسلمين ضد الروس الكفار حيث القى الشاعر احمد نور الدين الانصاري قصيدتان في حرب القرم وهما :

الحَمدُ لله زاد الفتح والظفر **واهلكت جُندنا أجناد من كفروا**

لم يبقى من جندهم فرد يخبر عن **كيفية الحال قُل: بالبندق– انتصروا**

مقطع من الثانية:

ألا هكذا من قاد عسكرا **كأفعال (باشات) الغُزاة كما ترى**

تناشدت الروس والطغاة لمخلب **وناب كابٍ الليث, إذهبي أحصرا**

وقد ألقيت هاتان القصيدتان في حضرة السُلطان عبد المجيد في استانبول[٧٨] .

الخلاصة

لقدخاضت الدولة العثمانية حروباً عديدة مع روسيا القيصرية[٧٩] ومن بين هذه الحروب حرب القرم بين عامي ١٨٥٣– ١٨٥٦ إذ تركت هذه الحرب اثاراً على العثمانيين بشكل عام وعلى العراق بشكل خاص.

حيث وضحت من خلال بحثي هذه الاثار الكبيرة التي تركتها هذه الحرب على الولايات العراقية وهي:

١– ادت هذه الحرب الى اضطراب اقتصاد الولايات العراقية وحدثت فوضى كبيرة فيه زيادة على الوضع المتدهور الذي كان فيه.

٢– دفعت هذه الحرب الى اضطراب الاوضاع الداخلية للولايات العراقية لانشغال الدولة العثمانية بها، حيث استغلت العشائر العراقية هذه الفرصة وقامت بعدة ثورات وانتفاضات ضد السلطة العثمانية.

٣– شهدت فترة حرب القرم نشاطاً بريطانياً محموماً وكشفاً موسعاً في الولايات العراقية على مختلف الاصعدة ومن اهم الانشطة محاولة بناء خط سكة حديد الفرات.

٤– استنتجت من خلال بحثي هذا ان العراقيون قد ساندوا الدولة لاعتبارات دينية.

٥– كادت أن تؤدي حرب القرم الى تدهور جديد في العلاقات العثمانية– القاجارية مما ادى الى انعكاسها على الولايات العراقية, فقد كان من عادة الفرس ان ينتهزوا كل فرصة مواتية للانقضاض على العراق واشغال الدولة العثمانية.

(١)

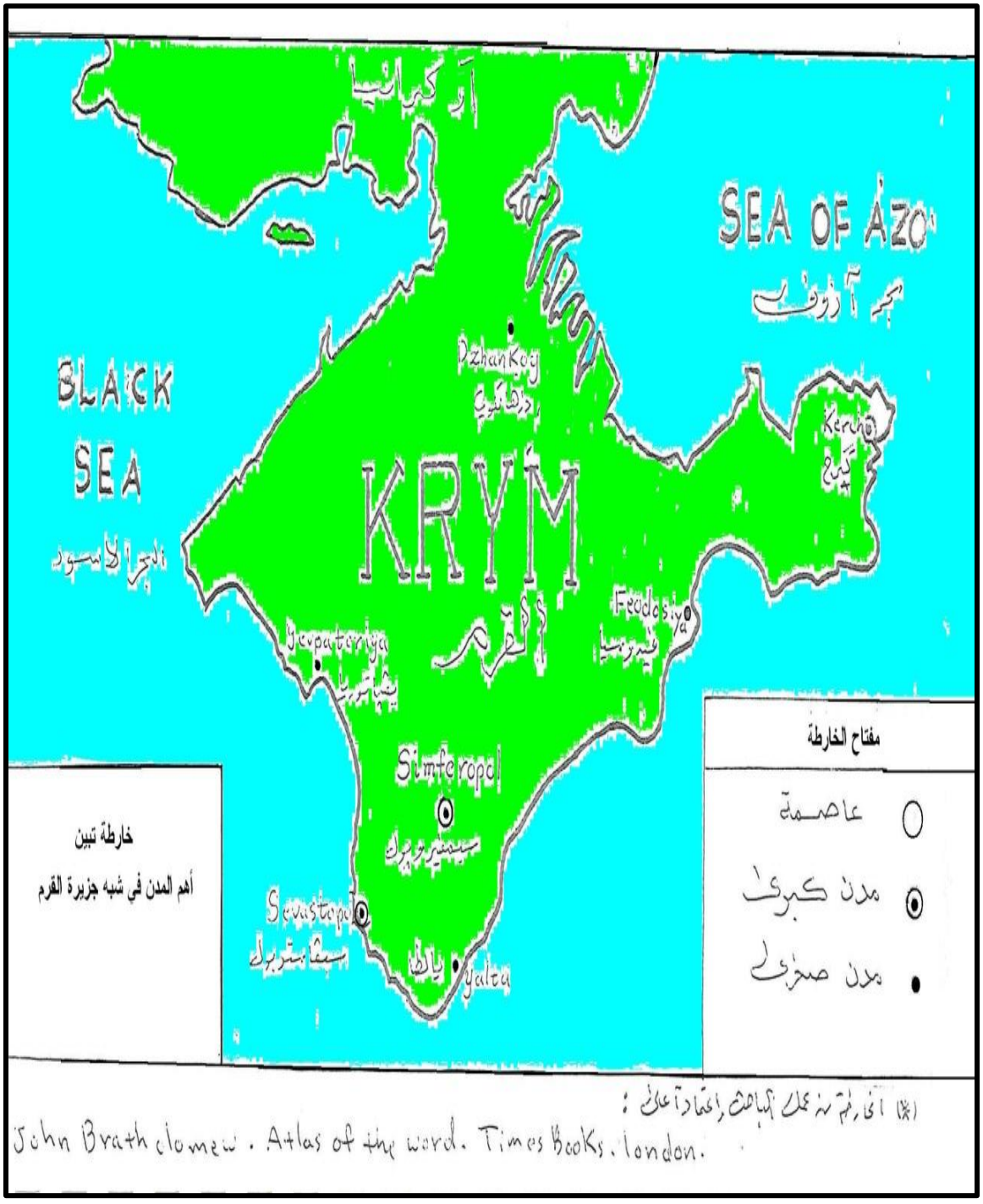
SEA OF AZO
بحر آزوف
BLACK SEA
البحر الاسود
KRYM
Pzhankoj
Kerch
Feodosiya
Jevpatoriya
Simferopol
Sevastopol
Yalta
مفتاح الخارطة
عاصمة
مدن كبرى
مدن صغرى
خارطة تبين
أهم المدن في شبه جزيرة القرم
(*) أخذ الباحث اعتمادا على :
John Brathchomew . Atlas of the word. Times Books. London.

(٢)

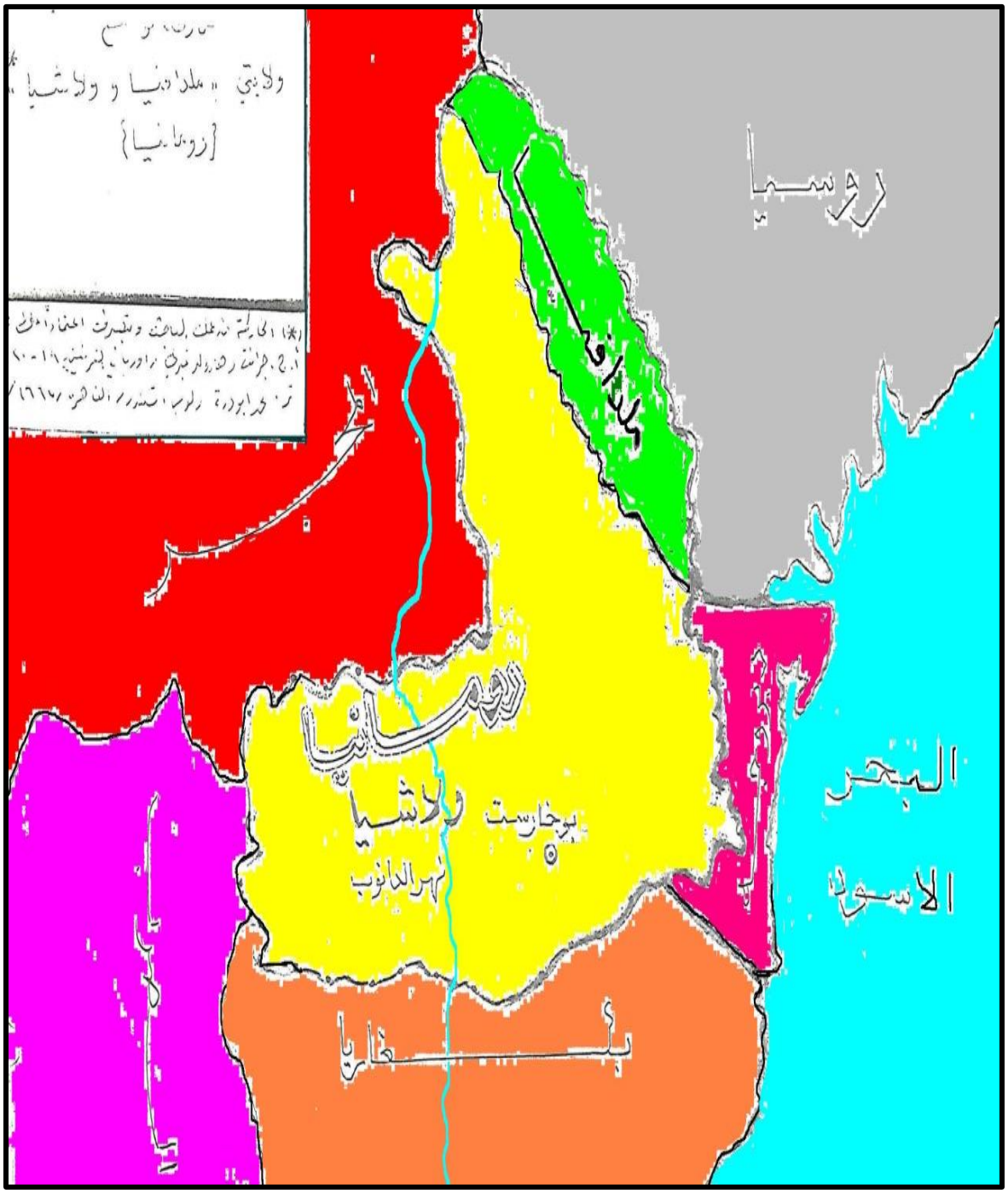

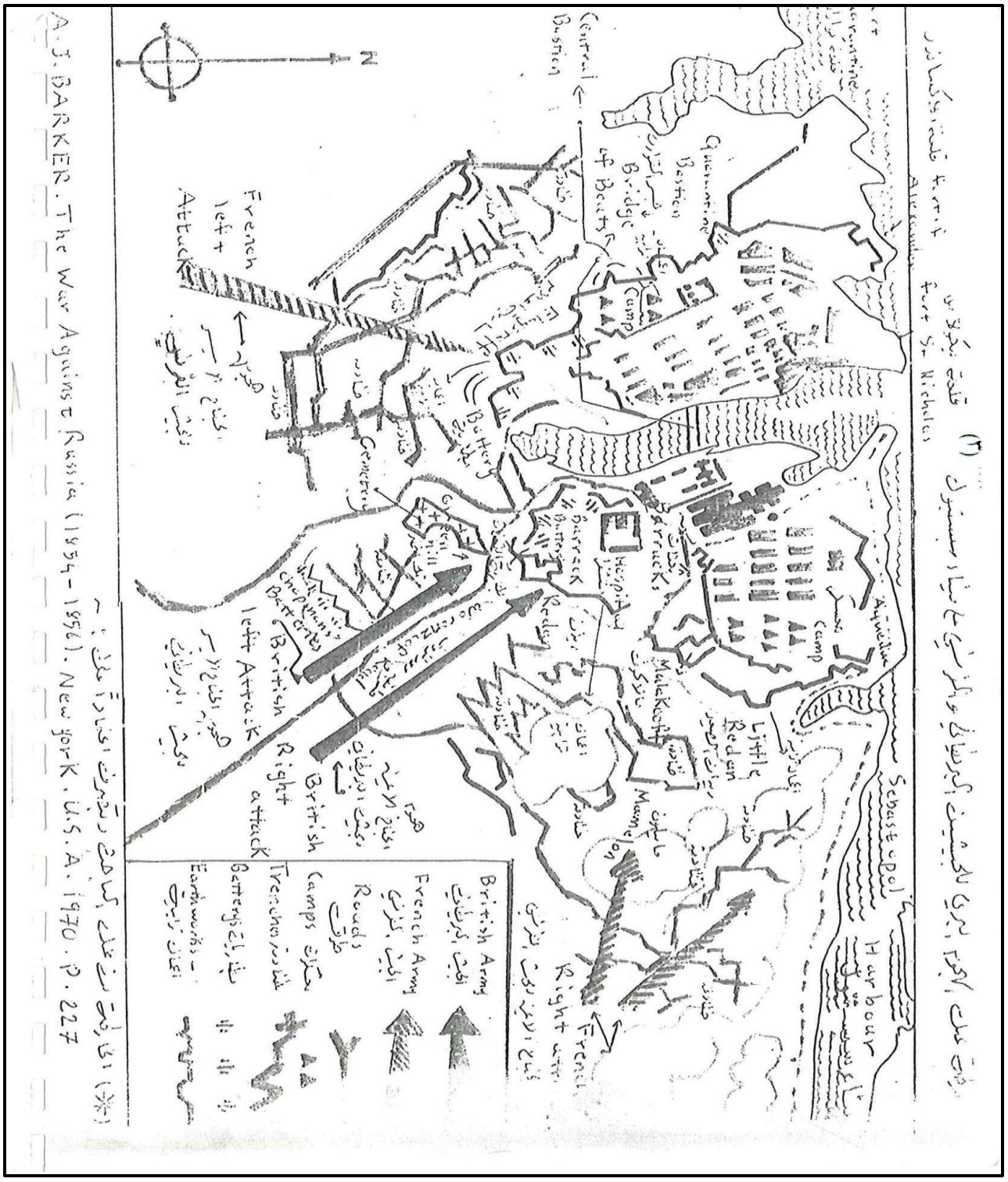

(٣) خريطة تبين مواقع الجيوش البريطانية والفرنسية في حصار سيفستوبول

(*) المصدر: خريطة من تأليف الكابتن أ. ج. باركر

A. J. BARKER. The War Against Russia (1854-1856). New York, U.S.A. 1970. P. 227

الهوامش:

(١) الموسوعة الثقافية، لا.ط، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٧٥٨.

(٢) شهاب محمد اسد، كفاح تركستان، ط١، بيروت، ١٩٧١، ص٢٤.

(٣) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط١، بيروت، ١٩٧٧، ص ص٦٦– ٦٧. وللاستزادة في المعلومات يمكن الرجوع الى محمد جلال يحيى، التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر، لا.ط، الاسكندرية، ١٩٨٣، ص ص ٢٥٩– ٢٨٠, هاميلتون جب ، وبويون، المجتمع الاسلامي والغرب، ترجمة: احمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة: احمد عزت عبد الكريم، لا.ط، القاهرة، ١٩٧١، ج١، ص ص ٣٨– ٣٩.

(٤) فريد بك، المصدر السابق، ص ٦٥.

(٥) هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية (١٧٧٤– ١٨٥٦)، لا.ط، بغداد، ١٩٩٠، ص ص ٣٧– ٣٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ص ٣٧– ٣٨.

(٧) التكريتي، المصدر السابق، ص ص ٣٧–٣٨.

(٨) كاترين الثانية بنت الأمير زريست الألماني ولدت عام ١٧٢٩م وتزوجت من أمير الماني, ثم لما تولى زوجها الحكم باسم (بطرس الثالث) استمالت أهالي روسيا اليها وعزلته في سنة ١٧٦٢م وبعد موته توجت هي امبراطورة روسيا واشتهرت بالسير على خطا بطرس الكبير فاستولت على بلاد القرم وقلعة أزرق وغيرها واقتسمت مملكة بولونيا مع النمسا وبروسيا وتوفيت سنة ١٧٩٢. ينظر: فريدبك، المصدر السابق، ص ١٥٣

(٩) لبيب حسين، تاريخ المسألة الشرقية، لا. ط، القاهرة، ١٩٢١، ص٥٣.

(١٠) سميت المعاهدة بهذه التسمية نسبة الى قرية (كجك كينارجي) وتم الصلح فيها . ينظر: التكريتي، المصدر السابق، ص٣٥

(١١) لبيب، المصدر السابق، ص٥٩.

(١٢) التكريتي، المصدر السابق، ص٣٩.

(١٣) وهي المعاهدة التي وقعت بين الأمبراطوريتين الروسية والعثمانية في ٩ كانون الثاني ١٧٩٢ لإنهاء الحرب بينهما خلال الأعوام (١٧٨٧–١٧٩٢)، في مدينة ياشي في إقليم مولدافيا (التابع حالياً لرومانيا)، والتي رسخت السيطرة الروسية على البحر الأسود، واعترفت بضم روسيا القيصرية لخانية القرم عام ١٧٨٣م. للإستزادة ينظر: www.marefa.org.com .

(١٤) التكريتي، المصدر السابق، ص ص ٤٢– ٥١ .

(١٥) لبيب، المصدر السابق، ص ص ٧٣– ٧٤ . وللزيادة ينظر: قاسم وحسني، محمد وحسين، تاريخ القرن التاسع عشر، ط٩، القاهرة، ١٤١، ص ١٩٣ .

(١٦) وهما الولايتان اللتان تكونان رومانيا الحالية، وتقع الأفلاق في شمال رومانيا، فيما تقع البغدان في جنوبها، وقد تحول اسم هاتين الولايتين فيما بعد إلى ولاشيا و مولدافيا وقد خضت هاتين الولايتين للسيطرة العثمانية في عام ١٣٩٥م في عهد السلطان بايزيد الثاني ١٤٨١–١٥١٢، وقد قررت معاهدة باريس العمل على إنشاء دولتين منفصلتين لكل منهما دستور خاص ورفض السلطان السماح للولايتين بالاتحاد تحت أسم رومانيا، وقد تكون رومانيا بصورة المعروفة الأن في عام ١٩١٣ من اتحاد هاتين الولايتين. للاستزادة ينظر: أ. ج. هيرالد وهارولد جمبرلن، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة بهاء فهمي، د.ت، لا.مط، ج١، ص ص ٤٠٢–٤٣٩، يحيى، المصدر السابق، ٢٤٦ .

(١٧) التكريتي المصدر السابق، ص ص ١٨٠– ١٨٥ .

(١٨) هربرت فيشر ، تاريخ اوربا في العصر الحديث ١٧٨٩– ١٩٥ .، ترجمة: احمد نجيب هاشم وديع الضبع، ط٣، القاهرة، ١٩٥٨، ص٢١٨ .

(١٩) نيقولا الأول هو ثالث أولاد القيصر بولص الأول وتولى الحكم بعد موت أخيه أسكندر الأول في سنة ١٨٢٥، بسبب تنازل أخيه الأكبر قسطنطين عن حقه في الحكم، وكان من أشد قياصرة روسيا عداوة للدولة العثمانية فقد خاض معها عدة حروب، كما عقد معها معاهدة أقكرمان، ثم معاهدة أدرنا في عام ١٨٢٩، وحارب الفرس واستولى على عدة ولايات فارسية، وكان من أكبر المساندين لليونانيين على الاستقلال، بينما قضى على الاستقلال الإداري الذي كانت تتمتع به بولندا، وساعد النمسا في حربها ضد المجر وخاض حرب القرم ضد الدولة العثمانية التي توفي اثناءها في عام ١٨٥٥، ينظر: فريد بك، المصدر السابق، ص٢١ .

(٢٠) التكريتي، المصدر السابق، ص ص ١٧٥– ١٧٦ .

(٢١) لقد وصلت درجة ضعف الدولة العثمانية ان قامت فرقة روسية في سنة ١٨٥٣م بمسح منطقة ما وراء القفقاس وانجزت تخطيط الاراضي التي تمتد من اليكساندروبول حتى ارضروم. وفي الفترات التي كانت تعقب العمليات الحربية كان الطوبوغرافيون يعملون في التخطيط الطوبوغرافي الموقع. وقد كانت هذه المواقع متناثرة في مناطق بعيدة. للإستزادة ينظر. ، ب.م دانتسينغ، الرحالة الروس في الشرق الاوسط، ترجمة: معروف خزنة دار، د. ط، بيروت، ١٩٨١، ص ص ٢٧٦– ٢٧٧

(٢٢) التكريتي، المصدر السابق، ص ص ١٢٥– ١٢٦.

(٢٣) للاطلاع على بنود معاهدة باريس يمكن الرجوع إلى كتاب محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ٢٨٦–٢٩٢.

(٢٤) أي. جي. بي. تايلر، الصراع على السيادة في اوربا ١٨٤٨– ١٩١٨، ترجمة: كاظم نعمة ويوئيل عزيز، د.ط، الموصل، د.ت، ص ص ١١٧– ١٣٢.

(٢٥) فيشر، المصدر السابق، ص ٢٢٥.

(٢٦) وهو البرنامج الإصلاحي الذي أصدره السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩–١٨٦١م) في ١٨ شباط ١٨٥٦م، بينما كانت المفاوضات تجري بهدف انهاء حرب القرم، وقد تشابه هذا المشروع الإصلاحي مع سابقه خط شريف كولخانة في الكثير من مضامينه، إلا أنه كان أكثر دقة في تحديد التغييرات الواجب إجراءها، وصيغته التعبيرية كانت أكثر عصرية وأكثر اقتباساً عن الغرب بصورة لم تعهد من قبل في الوثائق العثمانية، وحقيقةً أن إصدار هذا الخط الهميوني استهدف مساندة الدول الأوربية للدولة العثمانية ضد أطماع روسيا القيصرية. للإستزادة ينظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣، ص ص ٢٠١٠–٢٠١٢.

(٢٧) احمد نوري، النعيمي، الحياة السياسية في الدولة العثمانية، د.ط، بغداد، ١٩٩٠، ص ص ١١– ٣٢.

(٢٨) ينظر في هذا في هذا المجال عدة مؤلفات منها: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلمية العثمانية, وهاشم التكريتي، تاريخ المسألة الشرقية. واحمد نوري النعيمي، الحياة السياسية في الدولة العثمانية.

(٢٩) فريد بك، المصدر السابق، ص ٢٧٢.

(٣٠) هو الفرمان الذي كان يصدره السلطان الجديد بعد اعتلائه العرش ويصادق فيه بقاء رجال الدولة في مناصبهم التي يشتغلونها وعلى رأسهم الصدر الأعظم, ويسمى باللغة العثمانية إبقاء فرماني أو فرمان الابقاء, ينظر: نجاتي اقطاش وعصمت بينارق، الارشيف العثماني، ترجمة: صالح سعداوي صالح، د .ط، عمان، ١٩٨٦، ص ٤٦٣

(٣١) محمد رشيد باشا الكوزلكلي: ولد هذا الوالي في جورجيا من أبوين مسيحيين, ولما بلغ التاسعة من عمره اسره الأتراك وحولوه الى الإسلام, ثم صار فيما بعد من الضباط اللامعين في الدولة العثمانية فأوفد الى فرنسا للتخصص في فنون المدفعية وبقى فيها عدة سنوات, ويقول احد السواح الذي زار بغداد في عام ١٨٥٤: إن محمد رشيد باشا كان أثناء ولايته في بغداد يطالع الكتاب المقدس ولا سيما الانجيل وبالنظر لبقائه في فرنسا مدة طويلة فقد ارتاب البغداديون في اسلامه, ولكي يبعد هو عن نفسه تلك الشبه شرع بتعمير جامع من ماله الخاص وبشكل محتشم. وقد سمي بالكوزلكَلي, أي صاحب النظارات, وسماه العراقيون أبو المناظر, والظاهر أنه أول من أستعمل النظارات في البلاد العثمانية حيث جاء بها من اوربا فاشتهر بها, ينظر: علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط٢، بغداد، ١٩٧٢، ج٢، ص ١٩٤

(٣٢) ريجاد، كوك، بغداد مدينة السلام، ترجمة: فؤاد جميل ومصطفى جواد، د .ط، لا. مط، بغداد، ١٩٦٧، ج٢، ص ١٦٣.

(٣٣) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، د. ط، بغداد، ١٩٥٥، ج٧، ص١٠٧.

(٣٤) موسوعة البصرة الحضارية، لا. مط، البصرة، د. ط، ١٩٨٩، ص ٢٦٨.

(٣٥) لونكرينك، المصدر السابق، ص ص ٣٥٢– ٣٥٣.

(٣٦) عند دراستنا لشخصية هذا الوالي محمد رشيد باشا الكوزلكَلي نلاحظ تناقضا فيما كتبه عنه المؤرخون المعاصرين له, فبينما يمتدحه سليمان فائق في تاريخ بغداد, حيث يقول نشر العدل ووسع المشاريع العمرانية ووفر للخزينة الكثير من الاموال والايرادات واستطاع ان يدفع ما تراكم على الخزينة العراقية من ديون, كما يمدحه لونكرينك حيث يعتبر عهده عهد استقرار نسبي بالقياس الى عهد الوالي محمد نامق باشا المعروف بقسوته الشديدة, والمعتبر من الولادة الصالحين فقد سعى في اعمال عمرانية وسار بسياسة حكيمة ترمي الى توسيع الاصقاع المستوطنة وزيادة الواردات بسبب توسيع الاراضي المزروعة واصلاح حال القبائل تدريجاً وجعلهم خاضعين لأنظمة الدولة وقوانينها بينما

نلاحظ ان الصورة تنعكس تماماً عند مؤرخين أخرين ففي كتاب لمؤلف مجهول وكان معاصراً لمحمد رشيد باشا يجعله سيء الصيت قبيح الفعل فيقول (حسد كل من يتعاطى المعاملة في البيع والشراء حتى انه أعطى دراهم لأناس يجلبون الاغنام من التاجر, ويستكشف عن دفاتر التجار ويسألهم ما تملكون وما عندكم من مال وطارد اهل الملل الخارجية كاليهود والنصارى, وهو كذوب حسود قاسي القلب بخيل لا يملك خصلة حسنة), ويبدو ان التناقض في الكتابة حول هذا الوالي هو ان جمع المعلومات عنه قد اخذ من اعدائه الذين تضرروا من إصلاحاته وان ما كُتب عن اصلاحاته هو ماشوهد بالعين المجردة. وكذلك مدحة القريبون منه والذين على اتصال معه مثل سليمان فائق. ينظر: الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٥– ١٩٨. ستيفين همسلي لونكرينك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، ط٦، لا. مط، بغداد، ١٩٨٥، ص ٣٥٥.

(٣٧) الموخانة: وهي لفظة تركية مركبة من (موم) وتعني الشمع و (خانة) وتعني الدار أو المكان فهي مكان الشمع، أو دار تصنيعه، إذاً هي المكان الذي تصنع فيه الشموع من شحوم الحيوانات خاصةً، حيث يستخلص الشحم لأغراض مختلفة مثل الإضاءة وغيرها. للإستزادة ينظر: عماد عبد السلام رؤوف، القصابون في العراق في القرن التاسع عشر، من موقع www.alkader.ce.index.

(٣٨) العزاوي، المصدر السابق، ج٧، ص ١١٠– ١١١.

(٣٩) العزاوي، المصدر السابق، ج٧، ص ١١١.

(٤٠) المصدر نفسه، ج٨، ص ١١٢.

(٤١) اشتهرت أسرة آل دانيال اليهودية منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر وأزداد دورها ونفوذها في عهد الوالي محمد رشيد باشا الكوزلكلي، حيث ذكرت المصادر أن صالح دانيال وأخواته كانوا في أيام هذا الوالي يضمنون الأراضي ويشترون الشلب قبل حلول الموسم. للإستزادة ينظر: مير بصري، أعلام اليهود في العراق الحديث، لندن، ط٢، ٢٠٠٩، ص ص ٩٣–٩٤.

(٤٢) العزاوي، المصدر السابق، ج٨، ص ١١٢– ١١٣.

(٤٣) القرش يعادل ١٠ فلوس وهذا يعني أن سعر رأس الغنم ارتفع من ٣٠ فلس الى ٢٠٠ فلس, ينظر: جاسم العدول، الحرب الروسية العثمانية بين عامي ١٨٧٧–١٨٧٨ وأثارها على العراق، مجلة التربية والتعليم، جامعة الموصل، كلية التربية، العدد الثاني، ١٩٩٠، ص ص ٨١– ١٠٩.

(٤٤) المصدر نفسه، ج٧، ص ١١١.

(٤٥) محمد نامق باشا (١٨٥١–١٨٥٢): وهو الوالي الذي تم تعيينه من قبل السلطنة العثمانية وقد أنيط به مهمة قيادة الفيلق السادس الذي تشكل واتخذ من بغداد مقراً له في سنة ١٨٤٨م، وكان هذا الوالي هو أول من جمعت له الباشوية وقيادة الفيلق السادس في اواخر عام ١٨٥١م، للإستزادة ينظر: جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩–١٩١٧، القاهرة، ط١، ١٩٩١، ص ص ٦٨–٧٠.

(٤٦) العزاوي، المصدر السابق، ج٧، ص ١١١.

(٤٧) أحمد نور الدين الأنصاري، النصرة في أخبار البصرة، ١٩٦٩، ص ص ٥٠–٥١.

(٤٨) حالياً تسمى محافظة المثنى في أقصى جنوب غرب العراق ومركزها مدينة السماوة ومحاذية للحدود العراقية – السعودية.

(٤٩) يعقوب سركيس، مباحث عراقية، بغداد، ١٩٥٥، ج٢، ص ص ٢٥٥– ٢٥٦.

(٥٠) حالياً تسمى محافظة ذي قار ومركزها الناصرية.

(٥١) يعقوب سركيس، مباحث عراقية، بغداد،١٩٤٥، القسم الأول، ص ٧٤.

(٥٢) حالياً تسمى محافظة ميسان ومركزها مدينة العمارة وموقعها بأقصى جنوب شرق العراق في المنطقة المحاذية للحدود العراقية– الإيرانية.

(٥٣) لوريمر، المصدر السابق، ص ٢٠١٩.

(٥٤) الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص ص ١٩٨– ١٩٩.

(٥٥) موسوعة البصرة الحضارية، المصدر نفسه، ص ٢٦١.

(٥٦) لونكريك، المصدر السابق، ص ص ٣٥٥– ٣٥٦.

(٥٧) لابد من الإشارة إلى أن إطلاق تسمية إيران على بلاد فارس لم تُعتمد رسمياً إلا في عام ١٩٣٥ من قبل الشاه رضا بهلوي، وفي القرن التاسع عشر كانت تسمى باسم الأسرة القاجارية.

(٥٨) موسوعة البصرة الحضارية، المصدر السابق، ص ص ٢٦٩– ٢٧٠.

(٥٩) موسوعة البصرة الحضارية، المصدر السابق، ص٢٦١.

(٦٠) لوريمر، المصدر السابق، القسم التاريخي، ج٤، ص ص ٢٠٧٢– ٢٠٧٣.

(٦١) زكي صالح، مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني، القاهرة، لا.ط، ١٩٦٦، ص ٤٩.

(٦٢) صالح، المصدر نفسه، ص ص ١٦٤– ١٦٨.

(٦٣) لوريمر، المصدر السابق، القسم التاريخي، ج٤، ص ص ٢٠٦٧– ٢٠٦٨.

(٦٤) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٠٦٨.

(٦٥) لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٥٦.

(٦٦) ناصر الدين شاه (١٨٤٨–١٨٩٥م): تولى الحكم في تشرين الأول ١٨٤٨م ودام حكمه مدة تسع وأربعين سنة وتسلم الحكم في جو تسوده الأضطرابات والفتن الداخلية، كما تنازل عن الملاحة في بحر قزوين لروسيا القيصرية، وشهد عصره تنافساً شديداً بين بريطانيا وروسيا القيصرية من أجل الاستحواذ على ثروات الدولة القاجارية وبسط نفوذهما عليها . للإستزادة ينظر: حسين الجاف، الوجيز في تاريخ إيران ، ٢٠٠٥، بغداد، ط١، ص ص ٢٤٨–٢٥٠.

(٦٧) موسوعة البصرة الحضارية، المصدر السابق، ص ٢٠٠.

(٦٨) لوريمر، المصدر السابق، القسم التاريخي، ج٤، ص ص ٢٠٣٩– ٢٠٤٠.

(٦٩) عبد العزيز نوار، تاريخ العراق الحديث، د.ط، ١٩٦٨، ص ص ٣٤٤– ٣٤٥.

(٧٠) العزاوي، المصدر السابق،ج٧، ص ١٠٧.

(٧١) نوار، المصدر السابق، ص ٣٤٥.

(٣٢) الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٠١.

(٣٣) لابد من الإشارة هنا الى لا يمكن تحكيم امر ساسة الدولة في فكر اي شخص او اي رأي فلا يمكن تصديق ان ناصر الدين شاه يتراجع عن غزو الولايات العراقية بمجرد ان طلب رجل الدين منه ذلك ولكن في حقيقته ان الشاه القاجاري خاف من التهديدات البريطانية حيث بعثت بريطانيا القطعتين البحريتين اوكلاند و أكبر الى شط العرب لتتعاونا مع الباخرة البريطانية كوميت الراسية امام المقيمية البريطانية في بغداد, ينظر: نوار، المصدر السابق ص ٣٤٥

(٣٤) لوريمر، المصدر السابق، القسم التاريخي، ج٤، ص ص ٢٠٣٩- ٢٠٤.

(٣٥) العزاوي، المصدر السابق، ج٧، ص ١٠٧.

(٣٦) مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية، القاهرة، د.ط، ١٩٧١،ص ٦٩.

(٣٧) الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص ص ١٩٩- ٢٠٠.

(٣٨) الانصاري، المصدر السابق، ص٧. ولابد من الاشارة ان محقق كتاب النصرة في اخبار البصرة لمؤلفه احمد نور الدين الانصاري, يخطئ حيث يجعل مؤلف الكتاب قد القى هاتين القصيدتين في حضرة السلطان عبد الحميد الثاني-١٨٧٦-١٩٠٩ غير ان الصحيح ان هذه القصيدة القت في حضرة السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١م) الذي في عهده حدثت حرب القرم, ينظر: الانصاري، المصدر السابق، ص٧.

(٣٩)لقد خاضت روسيا القيصرية سلسلة من الحروب ضد الامبراطورية العثمانية في الفترة الممتدة بين عامي (١٦٧٦- ١٨٧٨) بلغت عشرة حروب, حققت بفضلها مكاسب كبير, و هي على التوالي:-

١- حرب عام ١٦٧٦- ١٦٨١.

٢- حرب عام ١٦٨٦- ١٦٩٩.

٣- حرب عام ١٧١٠- ١٧١٣.

٤- حرب عام ١٧٣٥- ١٧٣٩.

٥- حرب عام ١٧٦٨- ١٧٧٤.

٦- حرب عام ١٧٨٧- ١٧٩١.

٧- حرب عام ١٨٠٦- ١٨١٢.

٨- حرب عام ١٨٢٨- ١٨٢٩.

٩- حرب عام ١٨٥٣- ١٨٥٦

١٠-حرب عام ١٨٧٧- ١٨٧٨.

لمزيد من المعلومات انظر: كمال مظهر احمد، ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨١، ص ١٠.